مشكلات العالم الإسلامي ودور الوحدة في التغلب عليها

✍ الأستاذ عبد الغني شمس الدين

❐ لقد تناول الكثير من الباحثين والعلماء المسلمين المعاصرين مشكلات العالم الاسلامي بالبحث والشرح بأساليبهم الخاصة، وهناك ايضاً بحوث ودراسات تقدم في الندوات العلمية والمؤتمرات الدولية تتناول بالتمحيص مشكلات وعوامل ضعف الامة في الماضي والحاضر.

ولم أشأ هنا أن أعيد ما قالوه كله لأن ذلك امر لايسمح به المقام فضلاً عن مقدرتي المتواضعة. فكل ما أرجوه هو أن أوفّق في تبيان بعض هذه المشكلات المستعصية بشكل عام، ثم أبين كيفية التغلب عليهاودور الوحدة الفكرية والسياسية والاقتصادية ونحوها في تحجيم هذه المشاكل، واستئصالها من جذورها حسب تصوري الخاص مستعيناً بالأطروحات والدراسات الجادة التي قام بها العلماء.

(أ) مشكلة العقيدة أو التشوه العقائدي وعدم اكتمال العنصر الايماني لدى الفرد المسلم.

إذا أمعنا النظر في جميع بقاع العالم الاسلامي سنجد كثيراً من الخزعبلات والتصورات الفاسدة والمعتقدات التي قد لاتمتّ للدين بأية صلة تنتشر في عقول العوام وبعض البسطاء من افراد هذه الامة.. هناك البهائية وهناك القاديانية وهناك حركة انصار منكري السنة النبوية ونحوها. ومن المعلوم أنّ الضلالات والبدع يكون انتشارها اكثر بين الاوساط الشعبية وهم السواد الاعظم دائماً للامة، ومن هنا يأتي خطرها الكبير الذي يتمثل في إسدال الستار على العقل الاسلامي وايجاد ظلمات بعضها فوق بعض في موكب الحياة العامة واضاعة الفكر في متاهات غريبة لدى جماهير عريضة من ابناء الامة وهو ما يحوّل الامة المسلمة الى امة مقعدة في عالم يجري كالريح المرسلة.[1] ولقد كان من المفروض ان تضمحل هذه الضلالات بفضل التقدم العلمي وكثرة الدارسين والعلماء، الا ان الواقع يثبت عكس ذلك، بل زادت وانتشرت الضلالات والامية الدينية لدى المثقفين العلمانيين وخاصة فيما يتعلق بأساسيات الدين. وما هو معلوم من الدين بالضرورة.[2]

ولعل الضلالات الفكرية التي مني بها المثقفون الجدد أخطر من ضلالات العوام الذين يروجون المنكرات والتدجيل لأخذ اموال الناس ويتخذون القرآن للتبرك فقط، غافلين عن دوره في الهداية والارشاد لصراط مستقيم. إن الأميّة الدينية أخطر بكثير من تلك الخزعبلات القديمة. والاميّة الدينية تعني عدم معرفة الدين والعلم به وإن أحرز المرء أعلى المراتب في الدرجات العلمية.[3] وكمثال على ذلك كتب احد المستشارين في اعلى سلطة دستورية بإحدى الدول العربية المسلمة مقالاً كشف فيه عما يغشي عقله من غفلةٍ وغباءٍ وخبطٍ، وتطاول على الشريعة الاسلامية، ذكر هذا الكاتب: إنّ قياس تحريم المخدرات على الخمر قياس

فاسد لأن الخمر في القرآن الكريم أمرنا باجتنابها، وليست محرمة، فالمحرم على سبيل القطع من الاطعمة والاشربة ورد في الاية الكريمة:

«قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مِيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقٌ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ».

والاجتناب في رأي بعض الفقهاء اشد من التحريم ولكنه في الحقيقة امر يتّصل بالمخاطب. فهذا المستشار يقول: إن الخمر في القرآن أُمرنا باجتنابها وليست محرمة. وإنكار حرمة الخمر إنكار لأمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يعذر مسلم بجهله.

(ب) مشكلة الانكار.

لا يخفى على أحد أن فساد الفكر يقترن دائماً بفساد العقيدة؛ كلياً او جزئياً. إذ أن الفكر اساس العمل. ويتحدث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة في كثير من آياته كسبب من الاسباب التي تؤدي الى سقوط الأمّة وخراب عمرانها وحضارتها. كما أن السنة النبوية ايضاً تبين هذه الحالة؛ اي حالة سقوط الحضارات؛ حيث ينغلق الفكر ويختلط الحق بالباطل، وينتشر الكفر الفعلي والانحراف العاطفي ويسود الهوى وتروج النظريات الفاسدة ويتحزب الناس احزاباً ويتحولون الى ادعياء دجالين. ومن الاحاديث التي تفيد ذلك، ما رواه ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في اي شيء قتل ولا يدري المقتول علي اي شيء قتل». رواه مسلم. وفي حديث آخر ان النبي عليه الصلاة والسلام قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب

بعضكم رقاب بعض». والكفر هنا كفر فكري اي ضلال وانحراف صاحبه مع انه مسلم أو انه على الحق مع انه يرتكب الكبائر وينتهك اساسيات الاسلام.(٤) وفي حديث آخر قال حذيفة سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً. فأي قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب انكرها نكت فهي نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين: على ابيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والارض، والاخر اسود مربادكالكوز مجخيا لايعرف معروفاًولاينكر منكراً الا ما أشرب من هواه» رواه مسلم.

والانحراف في هذا الصدد يسميه البعض بمرحلة التيه الفكري.

ففي مرحلة التيه الفكري تظهر طبقة من المثقفين المضلين المتشدقين الذين يخدعون الناس بنوع من الكلمات المبهمة ويقودونهم بهذه الكلمات الرمزية والشعارات المدوية الى الهاوية فعن ابي سعيد الخدري وانس بن مالك رضي الله عنهما عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم قال: «سيكون في امتي اختلاف وفرقة. قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن الكريم لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لايرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه. يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا يارسول الله ما سيماهم؟ قال: التحليق، (والتحليق هو اخراج الكلام من الحلق تشدقا)(٥).

وفي الواقع ان التمزق الفكري الداخلي للافراد أو للامم هو أول داء تصاب به الامّة. وعن طريق هذا الخلل الفكري، تدخل صنوف الخلل السلوكية نتيجة حتمية لخلل الفكر. والواقع خير شاهد بهذه المشكلة المستعصية.

(ج) الانظمة العلمانية المتسلطة

ان قـوى الامبريـالية لاتخـرج من الـدول الاسـلامية بالبسـاطة بل دبـرت وخططت خرائط الحكم ونصبت الطغمة الحاكمة المتسلطة من ذوي اتجاه علماني للتحكم بمصيـر الامة طبقاً لارشاداتها وتوجيهاتها وهذه الانظمة تنفذ برامج التعليم العلماني وتخـرج جيـلاً من الشبـان المـارقين من الدين. وابرز بلد اسلامي حكمته العلمانية ونفـذت فيـه خططها وضربت بيد من حديد كل من يقاومها وخاضت في ذلك بحـراً من الـدم هـو بلـد الخـلافة الاسـلامية الاخيرة الذي قهره اتاتورك على تطبيق الانمـوذج الغـربي في الحيـاة كلهـا، في السيـاسة والاقتصـاد والاجتمـاع والتعليم والثقـافة، وسلخـه من تراثـه وقيمـه وتقاليـده كما تسلخ الشاة من جلدها. واقـام دستـوراً لادينياً يعزل الدين عن الحياة عزلاً كاملاً، قامت على اساسه قوانين مجافية للاسلام كل المجافاة حتى في شؤون الاسرة والاحوال الشخصية.(٦)

وانتشرت العلمانية الحاكمة في كثير من دول المسلمين شرقاً وغرباً. وتاريخ اضطهـاد السـاسة العلمانيين للـدعـاة والحركـات الاسلامية مليئة بالمعاملات غير الانسانية المنـافية للدين والاخـلاق فضلاً عن تعارضها مع ابسط الحقوق الانسانية. فـأقصي الاسـلام عن الحكم والتشريع في الامور الجنائية ونحوها. وبقي محصوراً فيمـا سمي بالاحـوال الشخصية كما أقصي الاسلام عن التوجيه والتأثير في الحياة الثقـافية والتربوية والاجتمـاعية الاّ في حـدود ضئيلة وفسحوا المجال كل المجال للتوجيه الغربي والثقافة والتقاليد الغربية.(٧)

(د) مشكلة القيادة او الإمامة:

الامـامة او القيـادة قضية محورية وجوهرية في معالجة مشاكل المسلمين في

كل اقطار العالم الاسلامي فبالامام التقي ينصلح امر الامة. وغياب القيادة المؤثرة او الامام القائم بتطبيق الشريعة والدفاع عن الحوزة الاسلامية يؤدي الى ضياع كثير من مصالح الامة وحدوث كثير من الانشقاقات والتحزب البغيض لدى طوائف الامة على اختلاف مناهجهم ومشاربهم. ولقد عانى كثير من الشعوب الاسلامية من الاضطهاد والاذلال من جراء القيادة العلْمانية التي فرغت السلطة السياسية من محتواها الشرعي وحولتها الى اداة القمع وتعميق ركائز التغريب والعَلْمنة في المجتمع الاسلامي كما ان السلطة التي تكون في ايدي العلمانيين دائماً تستخدم من اجل تشكيك الناس في صلاحية العلماء كقيادة، وتشويه سمعتهم ونزاهتهم، حتى تفرّ الامة وتنتفض من حول القيادة الرسالية، ويستأثر هؤلاء العلمانيون بالتوجيه والحكم كما يحلو لهم، ويأملون بذلك أن تزداد القيادة الحقيقية غربة وبعداً عن المجتمع او عن القاعدة الشعبية.

وقد حُسمت القضية بالنسبة للعالم الشيعي؛ وخاصة في ايران الاسلامية واستطاعوا أن ينتزعوا الحكم من السلطة المستبدة فيها بفضل مبادرة الامام الخميني (رحمه الله).

ان التعدد في قيادة منظمات عديدة في مجال الدعوة والسياسة الاسلامية يوظفه اعداء الاسلام لضرب المنظمات بعضها ببعض؛ حتى لاتكون لها قائمة او على الاقل يضمحل نفوذها وتذهب ريحها. وحيث ان القضية من الاهمية بمكان فلا مناص من معالجتها بشكل مستعجل وحاسم فيما لو اريد للحركات والمنظمات الاسلامية النجاح والغلبة.

(هـ) الطائفية والعصبية:

ان النزاعات الطائفية والعصبية والنزوح الى التنازع بدلاً من الحوار الهادىء

البنّاء في حسم الخلافات بين افراد الشعب او فيما بين المنظمات لهااثر كبير في تردّي الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى مستنقع أسوأ في الاقطار المسلمة.

لقد استطاعت الدول الغربية ان تبني وحدات عديدة، ووضعت صيغ للاتفاق في المجال السياسي او الاقتصادي او الثقافي بالرغم من اختلاف مذاهبهم الدينية والسياسية. ولكن فشلنا نحن كأمّة واحدة في ان نضع صيغة من الحلول المناسبة حيث يتفق عليها الجميع في مستوى من المستويات.

ان التناحر بين الفئات الاسلامية في بعض الاقطار المسلمة قد ترك اثراً اشد فجاعة ومرارة من التي منيت الأمة به في الماضي وهي في طريقها الى بناء المستقبل وتلمس سبل الرشاد والوحدة. ومن المعلوم للجميع «أن العصبية المذهبية أوجدت حواجز كثيفة بين المسلمين في الماضي وأورثت فيما بينهم من العداوات ما شغلهم عن اعداء الاسلام ـ على اختلاف انواعهم ـ وعن الاخطار المحدقة بالاسلام. وقد كان أهمها في هذاالامر الاستعمار والالحاد والتشكيك بالاسلام.[٨]

(و) مؤامرات قوى مناوئة للاسلام

لاشك أن هناك كثيراً من المؤامرات والشراك تقوم بها قوى مناوئة للاسلام والحركات الاسلامية في العالم من قبل الاستعمار والصهيونية والمؤسسات الدولية، سواء كانت ثقافية او اقتصادية لمنع الاسلاميين من تولي السلطة السياسية في الاقطار الاسلامية. لقد حاولوا قطع جذور الانبعاث الاسلامي بكل الطرق وفي كل مكان وقدموا مساعدات ضخمة اقتصادياً واعلامياً بل وعسكرياً من اجل توطيد

اركـــان الحكـــام العلْمـانيين المتسلطين. وشـــوهـــوا سمعة الرمـــوز الاسـلامية والشخصيـات الحركية النـاشطة بل اسـاءوا الى سمعة الاسـلاميين ككل في ابواق إعـلامهم ممـا ينطلي الامر على الكثيـر ويختلط الحابل بالنابل ونظل في متاهات التضليل والخداع.

(ز) الفقر الاقتصادي وضعف الصناعة

ابتلـي العـــالم الاســـلامي بسلسلة من المشكـــلات المستعصية من الفـــرقة والحرب الاهلية والاستعمار وكيد الاعداء من الصهيونية وغيرها مما نتج عن ذلك ركود في الثقافة وانحسار في مستوى التعليم وندرة الايدي العاملة الكفؤة وضعف الصنـاعة وتدني مستـوى الانتاج، وذلك ما أدى الى وقوع الامة في الحلقة المفرغة بين الفقـر والتأثـر التعليمي والجهل والمـرض ونحـوهـا. ومما يزيد الطين بلة أن القـروض الخـارجية التي تقـدمهـا الـدول الغربية والبنوك الدولية للدول النامية في الغـالب مقترنة بالسيـاسة الاقتصـادية التي تكـرس التبعية ومزيـداً من التعلق بالدول الغربية ومزيداً من الفقر بالاضافة الى ضياع الاستقلال الحقيقي للدول المعنية. ومن هنا كانت المشكلة الاقتصادية من اكبر المشاكل.

ومن نـاحية اخـرى فـان انعـدام الاستقـرار؛ سـواء على مستـوى السيـاسة الخـارجية اوالداخلية وانعدام الشعور بالامن، وانتهاك حقوق الافراد وانعدام حرية التصـرف، يحـول دون تقـدم العـالم الاسلامي في الاقتصاد والصناعة. ثم ان تغرير الـدول النـامية وكبت طاقاتهـا وتحجيم حقيقتها وخلق الاعذار في طريقها من قبل الـدول المستعمرة، كزعمهم ان صناعات الآلات الحقيقية تحتاج الى وقت طويل، وإن على الـدول النـامية ان تقـوم بصنـاعة الحـاجـات الاساسية لصرف البلاد الى

الصناعات الاستهلاكية وإن التقدم يحتاج الى مراحل متعددة ومتوالية، وتثبيط عزائم الامّة، يؤدي الى تخلّف واضح. وبالتالي جعل البلاد الاسلامية وعموم البلاد النامية سوقا رائجة لمنتجات الغرب، ثم ربط هذه الدول بصفقات قروض بحجة تحويل المشاريع والذي له مخاطر وخيمة على الاقتصاد. ان هذا الاسلوب ابتكرته اوروبا الغربية للسيطرة على العالم فيما استغلت امريكا الضعف المالي لمنظمة تحرير فلسطين كي ترضى الأخيرة بالحل الامريكي الصهيوني لمشكلة فلسطين بالرغم من بعده عن العدالة ومبادىء حقوق الانسان. وهناك من رضخ تحت وطأة الديون والفقر الاقتصادي لمخططات القوة الغربية لكي يقوموا بتنفيذ برامج ثقافية وسياسية واجتماعية التي من شأنها ان تضاعف من وطأة العَلْمنة والتغريب في شخصية افراد الامّة.

(م) ضعف فعالية التنظيمات الاسلامية

لقد تناول علماؤنا الاجلاء ودعاتنا الابرار بالتمحيص والتشخيص مظاهر الضعف في كيان المنظمات الاسلامية في كتبهم. فمنهم الدكتور السيد محمد نوح في كتابه آفات على الطريق، حيث ذكر فيه الافات التي تعتري العاملين الاسلاميين كأفراد مثل الفتور في الحماسة والاسراف والاستعجال والعزلة والاعجاب بالنفس والغرور والتكبر ونحوها وتناول الشيخ يوسف القرضاوي ايضا هذه القضية حيث قال إنّ مصدر الخلل في الحركة الاسلامية هو ضعف النقد الذاتي والانقسام والاختلاف وغلبة الاتجاه العاطفي على الاتجاه العقلي والعلمي والخوف من التجديد ونحوها.

ان العمل الجماعي الناجح يتطلب في الواقع توافر شروط معينة مثل وجود

الطاقة العاملة النشيطة والتنظيم الفعال بالاضافة الى وجود وسائل تكنولوجية تتناسب ومتطلبات العصر وأخلاقيات حركية تحول دون تصدع المنظمات الاسلامية من الداخل. ومن الملاحظ ان اكثر هذه المنظمات والحركات الاسلامية تعاني كثيرا من انواع العجز في مجالات شتى؛ سواء في التخطيط او التنظيم او الرجال او المال.

(ط) ضعف تواجد الكيانات الدولية الاسلامية

ومن ناحية اخرى فان المنظمات الدولية الاسلامية كمنظمة مؤتمر العالم الاسلامي وغيرها ضعيفة من حيث تأثيرها في الاحداث وامكانيتها في تسيير دفّة السياسة العالمية لصالح الامة المستضعفة. لقد رأينا كيف فشلت في معالجتها لقضية المسلمين في البوسنة والهرسك وفي الصومال وفلسطين وغيرها. وحيث ان العوامل التي تضعف قوة هذه الكيانات الدولية الاسلامية كثيرة فينبغي النظر ومعالجة مسبباتها واقتلاع هذه العلل من جذورها.

(ي) الاعلام الاسلامي دون مستوى المواجهة

ان الجرائد والمجلات والنشرات او المطبوعات وحتى الاذاعات الاسلامية مازالت محدودة من حيث تأثيرها في تكوين العقلية الاسلامية الصافية في كثير من اقطار العالم الاسلامي. والاعلام الاسلامي اضعف ما يكون في الدول الغربية او دول آسيا الوسطى، ذلك لان العوامل الحيوية التي تساعد على نشاط الاعلام وتوسيع دائرة نفوذه تكاد تكون مفقودة، من هنا فان المنظمات الاسلامية

وأجهزتها ينبغي ان تعمل جاهدة من اجل تعزيز جهاز الاعلام الاسلامي كي يكون في مستوى العصر.

(ك) غياب الممارسات السياسية الناضجة والصحية.

من الملاحظ أن محاولات تطوير المجتمع طبقاللمسار الاسلامي دائما ترتطم بالتدابير القمعية في الدول العربية والاسلامية ثم ان الممارسات السياسية هناك ليست في مستوى من النضج والانفتاح والديمقراطية بحيث تسهل العمل من اجل تطوير المجتمع طبقا للمشروع الاسلامي. والغريب ان طلائع العمل الاسلامي دائما يواجهون الصعوبات الجمة من اجل ممارسة حقوقهم السياسية والاجتماعية بالمقارنة مع فصائل اخرى علمانية او قومية او طائفية فهؤلاء دائما ضحية المطاردة والاقصاء والتنكيل والاذلال من قبل حكوماتهم. فكأن الساسة في اقطار العالم الاسلامي اكثرهم ينظرون الى الحل الاسلامي وطلائع العمل الاسلامي بعين التخوف والشكوك والريب. ومن هنا فلاغرابة إذن أن يتحول الوضع السياسي والاقتصادي فيها الى اسوأ ما يكون.

(ل) ضعف التربية الإسلامية.

الحركات والمنظمات الاسلامية تزداد باطراد بفعل الانقسامات والانشقاقات الداخلية أو ظهور جيل جديد لايؤمن بصلاحية قوالب من سلفهم ولذا فإن ضعف مستوى التربية الحركية في كثير من هذه المنظمات امر ملحوظ ومشهود.

ثمة عوامل عديدة تساهم في احداث هذه الظاهرة. منها قلة الخبراء والعلماء الذين صقلتهم الخبرة والتجربة، وكذلك ضعف الموارد المالية والرجال، بالاضافة الى احتكاكات فردية بين عناصر القيادة، ومحاربة رجال الحركات الاسلامية، اما في مجال التعليم الرسمي في هذه الدول فمازال تكتنفه الازدواجية وتسرب المفاهيم العلمانية والقومية في تدريس المواد الدراسية مما يضعف رابطة الاخوة الاسلامية العالمية وتتضاءل نزعة التدين ويتدنى مستوى الالتزام الخلقي وينسلخ المراهقون والشبان من التراث والاصالة. ولقد دلت الاحصاءات التي نشرت من قبل المسؤولين من حين لآخر الى ان مقدار الجريمة والزنا والجنح والمخالفة التي ارتكبها الجيل الناشيء والشبان في هذه الدول يزداد باطراد.

(م) ضعف مستوى التسلح وانعدام التقنية لصناعة الاسلحة المتطورة

ان اغلب الدول النامية تعاني من العجز الاقتصادي والتأخر في الصناعة وقلة الخبراء وخاصة فيما يتعلق بصناعة الاسلحة الحديثة المتطورة. والدول الاسلامية ايضا تعاني من هذه المشكلة مما يجعلها فريسة سهلة لقوى الاستعمار والدول الكبرى في الهيمنة عليها عند نشوب النزاع او الحرب، والتحكم في مصيرها السياسي والاقتصادي والعسكري. ان حادثة بناما وهاييتي وغيرها تعكس مدى هيمنة القوى الكبرى ليس فقط على الدول الضعيفة بل على اجهزة ولجان الامم المتحدة.

(ن) غياب البعد النظري الموثق تجاه مخططات القوى الامبريالية فيما يتعلق بالقضايا الدولية التي تمس مصالح المسلمين.

من البداهة ان القوى الامبريالية والدول الغربية تضع مخططات بعيدة المدى

من اجل تحجيم قوى الدول النامية والامة الاسلامية على وجه الخصوص في مجالات عديدة سواء كانت في الاقتصاد او في التكنولوجيا المتطورة او في السياسة وغيرها، فعلى رؤساء الدول الاسلامية ان يكونوا على وعي ويقظة وبصيرة لمخططات الاعداء، ثم عليهم ان يتخذوا موقفاً موحداً من اجل مواجهة هذه المخططات غير ان الواقع - مع الاسف - يعكس خلاف ذلك فهم يتصرفون بصورة انفرادية مما يسهل على قوى الاستعمار اخضاع الامة الاسلامية وإذلالها.

وهناك مشاكل اخرى تتعلق بالحدود والنزاع حول السيادة على منطقة البترول وما الى ذلك من المشاكل تنذر بانفجارات عديدة فيما بين الدول الاسلامية في المستقبل. وفي الواقع إن قائمة هذه القضايا ستطول الى ما لا نهاية فيما لو اردت استعراضها بالتفصيل. ولكن المهم الآن هو: كيف تحل هذه المشكلات او يقلل من غلوائها الى حد ادنى؟ وحيث اننا نلتزم بالبحث عن الوحدة كأساس لحل هذه المعضلات فلا مناص اذن أن نستشف الحل من خلال هذا المدخل اي مدخل الوحدة.

دور الوحدة في معالجة هذه المشاكل

الوحدة لها ابعادها العديدة. ولعل البعد الجذري منها هو البعد الفكري او العقائدي. إذ أن الفكر اساس العمل والتصرف. والفكر في حد ذاته يعتمد على عناصر وعوامل عديدة. فبالاضافة الى رصيد العلم والفهم ووضوح التصور في شأن القضية المعنية، والموضوعية فإن الفكر ينبني على المنهج او الاسس المنطقية السليمة للتوصل الى خلاصة فكرية صحيحة.

وعلى ذلك كان من الضروري تأصيل المنهج الفكري المستقيم في

المجتمعات الاسلامية ليتبناه افراد الامة، كي يصلوا الى مستوى معين في التماثل الفكري. وبذلك يستطيعون ان يتوحدوا فكرياً الى حد ما. واذا استطعنا ان نحقّق نوعا من التقدم في مجال الفكر والوصول الى مستوى معين في التماثل الفكري عن طريق تقريب الهوة وازالة الفجوة الحاصلة فيما بين المناهج الفكرية المتباينة او على الاقل عن طريق الاتفاق على المنطلقات الجوهرية في فهم المشاكل؛ دونما تكفير او تفسيق بعضنا بعضاً، نكون قد قطعنا شوطاً لابأس به في الاتجاه نحو التوحّد.

ومن ناحية اخرى، لابدّ أن تتضافر الجهود من أجل محاربة البدع والخزعبلات او الفكر الخرافي والامية الدينية والافكار العلمانية و الرضوخ الى الاقاويل و الاتجاهات الانهزامية والاستسلامية المفروضة من لدن قوى الاستكبار العالمي. ان الطاقة الذهنية لمفكري الامة ينبغي ان توظف توظيفاً سليماً بحيث تعالج قضايا حيوية ومصيرية لصالح الامة بدلاً من ان تبدد في قضايا فرعية وهامشية لاتسمن ولاتغني من جوع.

وفيما يتعلق بالعلمانية فان الوحدة في الفكر فقط قد لاتأتي بالثمار المرجوة فلابد من اقامة قلعة او قلاع اسلامية لندكّ حصونها بشكل مؤثر. اقول لابدّ ان نقيم كياناً سياسياً اسلامياً قوياً في كل اقطار العالم الاسلامي ليكون قاعدة للانطلاق الرسالي وبداية للتغيير الاجتماعي على نهج شامل في مختلف مناحي الحياة الاسلامية.

ووجود هذا الكيان السياسي مرتبط بوجود قيادة دينية سياسية موحدة تحترمها جميع فصائل العمل الاسلامي فوق مستوى التأثر بنزاعات مذهبية او طائفية او عنصرية. ومن المعلوم ان الوحدة الفكرية قد تساهم في تعزيز قناعات ايجابية لدى الامة من اجل التغلب على نزاعات الانفراد والتشرذم اوالفرقة، وذلك بواسطة تنصيب قيادة دينية سياسية عالمية وبالرغم من ان هذا الاتجاه قد يحاربه

كثيـر من القـوى المنـاوئة شرقـاً او غرباً بيد أنه قد يعيد الامة الى مجدها وقوتها اثر غياب الخلافة العثمانية من الساحة الدولية.

أرى ان القيـادة الاسـلامية المـوحـدة امر حيوي وملحّ في مواجهة ظواهر ارتـداد كثير من الانظمة القائمة في العالم الاسلامي الآن. وما لم تحسم هذه القضية فـان الصحـوة الاسـلامية مـازالت في طـور الـوهن والضعف المستمر. لاحول لها ولاقوة.

ان الـوحـدة الفكرية السياسية اذن تعتبر برنامجاً من برامج العمل المستعجل تمهيـداً لوجود الكيان السياسي الموحد وقيادة العمل الاسلامي العالمي التي يلتزم بأمرها الجميع.

بالاضـــافة الى ذلك لابـدّ ان نقيم مراكـز العمل في كل قطـر مـزودة بجميع الامكانـات الـلازمة لتحقيق انجـازات جـزئية ومستمـرة في هذا الاتجاه. وإذا كان اعـداء الصحـوة الاسـلامية لهم مراكز عمل ومراصد ومرافق في جميع اقطار العالم ولهم عيـون ورجـال من جميع الجنسيات فلا أقل أن يكون لنا نحن أيضا مثل هذه الامكانيات، ثم لابدّ من مواجهتهم بما يواجهوننا به.

واذا ما نجحنا في بناء قلعة او قلاع اسلامية، وتحوّلت دولة ما الى حصن من حصـون العمل الاسـلامي فبالتعاضد والتكاتف ووحدة الصف والعمل نستطيع ان نواجـه المـؤامـرات ونتغلب على كثير من الافخاخ المنصوبة من قبل المستعمرين واذنابهم في كل المستويات.

وفيمـا يتعلق بمشكلة الفقر الذي يعاني منه كثير من الدول الاسلامية فيمكن التغلب عليـه بـواسطة ايجـاد نوع من التحالف على المستوى الاقليمي او العالمي فيمـا بينهـا، وتنسيق السيـاسة المـالية والتنموية والتصنيع بما يكمل النقص وتسديد احتيـاج الدول من قبل الدول المسلمة الاخرى طبقاً لبرنامج تنموي شامل وسياسة

التصنيع المتكاملة. ثم ان تطبيق فكرة اقامة السوق المشتركة كما اقترحها الاستاذ نجم الدين اربكان حفظه الله قد يساهم بدوره ايضاً في حل هذه المعضلة.

علاوة على ذلك فان وحدة الفكر الحركي الاسلامي بدورها تساهم في تقريب وجهات النظر فيما بين فصائل العمل الاسلامي في كل قطر، ومن ثم يمكن وضع صيغة لميثاق الدعوة الاسلامية تقلل من اثر الانشطار الحركي واختلاف قوالب الدعوة وتباين نوعية القيادة. ان الوحدة الاسلامية اذا تحققت سواء كانت في السياسة او الاقتصاد او الثقافة او العمل الحركي او الاعلامي او في المجال السلوكي يمكن ان تذلل كثيراً من الصعوبات او المشاكل التي يواجهها المسلمون كأمة واحدة، وهي بمثابة درع واقٍ مهم لمواجهة تحديات المستقبل. ولذلك حاول الاعداء باستماتة ـ من حين لآخر ـ بث عوامل الفرقة والتباغض فيما بين المسلمين مستغلين تباين المواقف والمدارس والمناهج والعرق والاقطار والانتماءات واذا استطاع المؤمنون ان يرتفعوا بأنفسهم دون الانشغال بالقضايا الهامشية، وركزوا جهودهم في تحسين مصائرهم والانكباب على الاعمال التي من شأنها ان توحد صفوفهم وتكرس جهودهم لصالح الامة ككل فيومئذ يتحقق النصر الموعود لهم ان شاء الله. قال الله جل جلاله في محكم تنزيله: «**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**».

المراجع:

(١) د. عاصم احمد «حرية الفكر وترشيد الواقع الاسلامي» مطبعة نهضة مصر ١٩٩٠/١٤١٠ القاهرة ص٣٧.
(٢) مناع القطان «معوقات تطبيق الشريعة الاسلامية» مكتبة وهبه القاهرة ١٩٩١/١٤١١. ص٨.
(٣) المصدر نفسه ص ١٩.
(٤) د. عبد الحليم عويس «تفسير التاريخ علم اسلامي» دار الصحوة للنشر القاهرة ١٤٠٦ ص٧٢.
(٥) المصدر نفسه ص ١٧٣.
(٦) يوسف القرضاوي «الاسلام والعلمانية» دار الصحوة للنشر مصر ١٩٨٧/١٤٠٨. ص٦٠.
(٧) يوسف القرضاوى «نحو وحدة فكرية للعاملين الاسلاميين» مكتبة وهبة مصر، ١٩٩٢/١٤١٢. ص٥٤.
(٨) محمد المبارك «المجتمع الاسلامي المعاصر» دار الفكر بيروت ١٣٩١/١٩٧١. ص٨٩.